العددِ 20 شباط 2026
No.20 Feb.2026
المجلة العراقية للبحوث الانسانية والاجتماعية والعلمية
Iraqi Journal of Humanitarian, Social and Scientific Research
Print ISSN 2710-0952 Electronic ISSN2790-1254

المرجعيات الأسطورية في شعر قبيلة مذحج

م.م نور أحمد سلطان حسين
الجامعة المستنصرية /كلية التربية الأساسية
noor8ahmad@uomustansiriyah.edu.iq

الملخص :

تشكل الأسطورة التاريخية حكاية مقدسة ،يؤمن أهل الثقافة التي انتجتها بصحة وصدق أحداثها ، فهي والحالة هذه سجل لما حدث في الماضي وأدى إلى الأوضاع الحالية والشروط الراهنة ، وهذا ما يعقد صلة قوية بين الميثولوجيا والتاريخ باعتبارهما ناتجان ثقافيان ينشآن عن ذات النوازع والتوجيهات ، رغم ما بينهما من اختلافات تجعلهما يبدوان وكأنهما نظامان مستقلان لا يربط بينهما رابط ، فالأسطورة والتاريخ ينشآن عن التوق إلى معرفة أصل الحاضر ،ولكنهما يفترقان في القيمة التي نسبغها على ذلك الأصل ، فهو أصل قدسي عند الأسطورة وأصل دنيوي مفرغ من الأسطورة عند التاريخ ،وبتعبير آخر ،فأن الأسطورة تنظر إلى التاريخ باعتباره تجلٍ للمشيئة الإلهية ، أما التاريخ فينظر إلى موضوعه باعتباره تجل للإرادة الإنسانية في جدليتها مع قوانين فاعلة في حياة الإنسان الاجتماعية الكونية والمكان الذي يشكل بالطلل أسطورة وخرافة تعكس حياتهم ، فضلا عن الحيوانات الخرافية منها (الغول / الفرس /الذئب / الجراد / الأفعى /الأسد ...) ،وقد تأخذ مفهوم الأسطورة من خلال محاربة القدر والمصير المحتوم الموت ووتكون اسطورتهم بطولية في البحث عن الخلود وبالتالي نحن أمام نوعين من التاريخ : تاريخ مقدس وتاريخ دنيوي يكون ثقافة متنوعة من أصل الانسان الجاهلي والإسلامي والاموي .[1]

الكلمات المفتاحية: المرجعيات الأسطورية، قبيلة مذحج، الطلل ، الخلود.

Mythological References in the Poetry of the Madhhij Tribe

Noor Ahmed Sultan Hussein
Al-Mustansiriyah University / College of Basic Education
noor8ahmad@uomustansiriyah.edu.iq

Abstract:

Historical myth constitutes a sacred narrative whose originating culture believes in the truth and authenticity of its events. As such, it functions as a record of what occurred in the past and led to present conditions and circumstances. This establishes a strong connection between mythology and history, as both are cultural products arising from similar impulses and orientations, despite differences that make them appear as independent systems with no apparent link. Both myth and history emerge from the human longing to know the origin of the present; however, they diverge in the value attributed to that origin—sacred in myth and worldly, stripped of myth, in history. In

(1) الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية ،فراس السوّاح /منشورات علاء الدين – دمشق ، ص : 91

other words, myth views history as a manifestation of divine will, whereas history regards its subject as an expression of human agency in its dialectic with effective laws governing social and cosmic life. Place—particularly the ruins (al-ṭalal)—forms myth and legend reflecting their lives, along with mythical animals such as the ghoul, horse, wolf, locust, serpent, and lion. Myth may also be conceived through the struggle against fate and the inevitability of death, producing a heroic myth in the quest for immortality. Thus, we are confronted with two types of history: sacred history and worldly history, constituting a diverse culture rooted in pre-Islamic, Islamic, and Umayyad human origins.

Keywords: mythological references, Madhhij tribe, ruins (al-ṭalal), immortality.

المرجعية الأسطورية الكونية :تشكل المرجعية الأسطورية الكونية من المعتقدات الأولى عن الكون ،والمستوحاة من تصورات الأنسان الذهنية ،للأشياء الخارجية بمختلف اشكالها وانواعها سواء اكانت مادية أم معنوية ،لم تأتِ بمجرد التأمل الفكري ، إذ لابد من وجود بواعث دعته إلى تلك التأملات ، ليخرج بحصيلة فكرية ،وليبدع لنفسه نمطاً محدداً من السلوك ،وقد لاتخرج تلك البواعث عن خوف من مظاهر الطبيعة التي كانت تهدد حياته واستقراره ،أو حيرة إزاء ما يشاهدهُ من مدهشات الكون ،أو بحث عن العلة والمعلول ،للظواهر الكونية التي يراها في حياته ، حتى انتهى إلى ربط كل هذه الظواهر بقوى غيبية بعيدة تسيطر عليها ،وتتحكم فيها ، وتتصارع فيما بينهما ، بحيث ينتهي الصراع بخلق حالة من التوازن بين الخير والشر والغرض من ذلك هو حماية الانسان من دوافع الخوف والقلق ،وتبدو (الهة السماء) أقدم أنواع الالهة بمنظور الفكر الأسطوري ،قبل أن تنزل منزلة البشر ، وفي مقدمة تلك الالهة (الشمس والقمر) بوصفهما الهين قائمين بذاتهما ،في حين كان يتم تشخيص بقية الالهة عن طريق ارتباطها بالنجوم والكواكب السيارة ، وكذلك الاساطير المتصلة بالقرابة والعائلة التي خلقت من النجوم آلهة وخلع عليها الانسان صفات الاسرة البشرية وخصائصها الاب والام والابن حيث جعلوا الشمس والقمر يقابلهما الاب والام أما ثمرة نتاجهم هي كوكب الزهرة وهو الأبن في الجاهلية .[2]

ونجد الشاعر جعفر بن علبة الجعفي يعتمد على اسطورة كونية وهو البرق ليتغزل بالمحبوبة فيقول :-

كأن رفيفَ البرقِ بيني وبينَها إذا حان من بعضِ الحديث باتسامُها [3]

يكشف لنا البيت مرجعية تراثية ،ذات مرجع اسطوري كوني وهو البرق ، فالشاعر التجأ الى الاساطير الكونية لتغزل ببياض اسنان وتلألوء محبوبته واختفاءً إذا ما تحدثت فأن حركة برق ولمعانه في السماء كماهي اسنان محبوبته

أما الشاعر الاشتر النخعي يستخدم البرق تصويراً للدروع وقت الحروب فيقول :-

حَمِيَ الحديدُ عليهمُ فكأنهُ ومضانُ برقٍ أو شعاعُ شُموسِ[4]

---

[2])الأسطورة في الشعر العربي قبل الأسلام ،أحمد إسماعيل النعيمي ، ص : 175-176-177

[3]) في شعر قبيلة مذحج ،المجلد الأول ، ص : 230

يشكل البيت مرجعية تراثية تاريخية ،ذات مرجع أسطوري كوني وهو البرق ، نجد الشاعر في وقت الحروب يصور كل حركات الأعداء وحركات قومه وهنا صور الشاعر صليل السيوف والدروع المصنوع من الحديد ،كالبرق الذي يشتد لمعانه وقت الاستخدام وهو يخطف الأنظار كالبرق .

أما الشاعر شَريح المذحجي أحدى الاساطير الكونية "الشمس " لمخاطبة ووصاية أبا موسى الاشعري في محادثته التفاوضية مع عمرو بن العاص فيقول :-

أبـا موسى رُمِيتَ بشّر خصمِ فلا تُضعِ العراقَ فدتكَ نفسي
فلا يخدعكَ عمروٌ إن عمراً عدوُّ الله مطلعَ كل شمسِ
له خدَعٌ يَحَارُ العقلُ فيها مموهةٌ مزخرفةٌ بلبسِ [5]

ينطوي النص على أبيات مرجعية تراثية ،ذات مرجع أسطوري كوني الشمس ،وقد استخدمها الشاعر كناية عن خدع ومكر عمرو بن العاص في وقت الغدر يخرج كما تخرج الشمس يؤذي بسطوعها كل من يحاول أن يقترب منها ، نعم فبعض الأعداء يجب الحذر منهم وعدم الاطمئنان لهم .

ونجد الشاعر عمرو بن عامر الحارثي يستدعي الاساطير الكونية "النجوم " ليعبر عن حالة النفسية فيقول :-

أَرِقتُ للوعةِ همَّ سَرَى فبتُّ أراعي النجومَ المُثُولا
إذّا قلت ولّت تَدَاعَت لها غَيَاطِلُ تُؤيِسُنِ أن تَزُولا[6]

تشكل الابيات مرجعية تراثية ،ذات مَرجع أسطوري كوني وهو النجوم ،فالشاعر إلتجا إليها ليعبر عن الشكوى والالم والحزن فبقى يعدد النجوم لعها تبعد الحزن وترجع النوم إلى العيون الساهرة التي أثقلها الهم ، نعم فأنك عندما تتعب وتتألم لايوجد سوى النجوم والقمر تزيل همومك بجمالها في الليل .

أما الشاعر الحارث بن كعب بن عمرو بن علة المذحجي يستدعي الاساطير الكونية النجوم فيقول :-

أكلتُ شبابي فأفنيتهُ وأفنيتُ بعدَ دهورٍ دُهُورا
ثلاثة أهلينَ صاحبتُهم فبادُوا، وأصبحتُ شيخاً كبيراً
قليلَ الطعامِ عسيرَ القيامِ قَد تَرَكَ الدُّهرُ خَطوي قصيرا
أبيتُ أراعي نجومَ السماء أُقلِّبُ أمرى بطوناً ظهورا[7]

---

[4]) في شعر قبيلة مَذحج ،المجلد الأول ،ص : 275

[5]) في شعر قبيلة مَذحج ،المجلد الأول ،ص : 340،وينظر وقعة صفين ،لنصر بن مزاحم ، ص : 534

* الشاعر :عمرو بن عامر الحارثي من بني الحارث بن كعب من مَذحج ، يعرف بابن هند ينظر معجم الشعراء للمرزباني تصحيح (كرنكور) ،ص:233

[6]) في شعر قبيلة مَذحج ،المجلد الثاني ،ص : 606-607

تنطوي ألأبيات على مرجعية تراثية ،ذات مرجع أسطوري كوني النجوم ، فالشاعر إلتجا إليها ليعبر فيها عن مدى قسوة الدهر طول عمره الذي عبر ثلاث أجيال والتي أشار إليها من خلال دلالة (ثلاثين أهلين صاحبتهم) ،وهذا العمر أثقل هذا الجسد الذي أصبح لا يستطيع النهوض ،وقليل الطعام ،وقد أصبحت النجوم الرفيق الذي يؤنس ليلهُ الطويل بدلاً من الأصدقاء والرفاق الذين اصبحوا تحت التراب ونجد رجل من بني الحارث بن كعب يستدعي الاساطير الكونية القمر، السماء قائلاً :-

والقمرُ الباهرُ السماء لقد زَاوَرَنَا بِجحفلٍ لِجَبِ
تسمعُ زجرَ الكماةِ بينهم قَدّم وأخَّر وارحِبِي وهِبِي
من كلَّ هدّاءة كعاليةِ ال رُمحِ آمونِ وشيظم سَلبِ [8]

تشكل الابيات مرجعية تراثية ،ذات مرجع أسطوري كوني وهو القمر والسماء ، ليصف جيش العدو الكبير ، الذي هجم عليهم وقت ظهور القمر في السماء ، وأبرهم بظهورهم وأثقلت عليهم الحركة والهجوم وقد شبه ثقلها كثقل السنام على الأبل ،وقد سلب منهم كل القوة والشجاعة في مواجهتهم .

المرجعية الأسطورية الحيوانية : نجد أن المرجعية الحيوانية لها علاقة وصلة أكثر بالإنسان إذ يبدو أنهم قد خلصوا إلى حقيقة فحواها ان كثيرا من الاساطير كانت في الأصل تجسيما لقوى حيوانات بعينها ثم تطورت فأصبحت آلهة تحتفظ بصورة الحيوان أو برمز دال عليها ودليلاً على ذلك اتخاذ كثير من الالهة شكلاً حيوانيا وحسبنا أن تتلمس معطيات هذا التصور في مضمون الفكر الأسطوري عند العرب من حيث ان طائفة من مؤهلات العرب كانت تحمل أسماء الحيوانات منها (الحية / الأبل /الثور الوحش / الطير/ الغول) [9]

من الاساطيرالحيوانية "الحية" ويقلبها قبيلة شعراء مَذحج بالأفعى إذ تعد دون سائر الحيوانات الآخر تأريخ طويل تحفه الأساطير من جوانبه كافة ،وتكاد لا تخلو أمة من اساطير دارت حولها ،ولعل من اشهر الاساطير المقترنة بها، تلك التي تقول أن الافعى كانت مثل الجمل ،وكانت تطير، فدخل فيها ابليس فطارت به حتى ادخلته الجنة فأغوى آدم ونالت عقابها بقص جناحها ،وقطع أرجلها والمشي على بطنها ،وباعراء جلدها وبشق لسانها*[10] .

ونجد الشاعر الاشتر النخعي يشبه نفسه بالذكر من الافعى فيقول :-

---

[7]) في شعر قبيلة مَذحج ،المجلد الثاني ،ص : 441- 442

[8]) في شعر قبيلة مَذحج المجلد الثالث ، ص : 1267، وينظر كتاب الكامل ،للمبرد ،طبع ومؤسسة المعارف –بيروت ،ج1 ،ص : 161

[9]) الأسطورة في الشعر العربي قبل الأسلام ، أحمد إسماعيل النعيمي ، ص : 216-217

*هكذا وردت في (الاسرائيليات) لأن كتاب الله الكريم ،لم يشر إلى مثل هذه الوقائع ،لا من بعيد ولامن قريب سوى قوله تعالى :" فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا"سورة الأعراف :اية :20 ،وقوله تعالى :" فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَىٰ شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لَّا يَبْلَىٰ" سورة طه :آية 120 أي أن للشيطان أثرا في معصية آدم على حسب ،أما الحية فلاوجود لها.

[10]) الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ، أحمد إسماعيل النعيمي ، ص : 219 ، وينظر كتاب الحيوان ،للجاحظ ،ج4،ص : 200

إنّي أنـا الافعى العراقي الذكر[11]

ينص البيت الشعري على مرجعية تراثية ،ذات مرجع أسطوري وهو الافعى ،إذ يشبه الشاعر نفسه بالافعى ويتاخذ صفاتها عند مواجهة الأعداء وقد أشارو الجاحظ إلى صفاتها بقوله : "وليس في الأرض شيء جسمه مثل جسم الحيّة، إلا والحيّة أقوى بدنا منه أضعافا. ومن قوّتها أنها إذا أدخلت رأسها في جحرها، أو في صدع إلى صدرها، لم يستطع أقوى النّاس وهو قابض على ذنبها بكلتا يديه أن يخرجها لشدّة اعتمادها، وتعاون أجزائها. وليست بذات قوائم لها أظفار أو مخالب أو أظلاف، تنشبها في الأرض، وتتشبث بها، وتعتمد عليها. وربما انقطعت في يدي الجاذب لها، مع أنها لدنة ملساء علكة فيحتاج الرفيق في أمرها عند ذلك، أن يرسلها من يديه بعض الإرسال، ثمّ ينشطها كالمختطف والمختلس، وربما انقطع ذنبها في يد الجاذب لها.

ونجد رجل من بني جُعفي يذكر اسطورة حيوانية "الافعى" عندما قتل مالك بن مازن أحد بني ربيعة بن الحارث فيقول :-

جَدَعتُم بأفعى بالذّهاب أنوفنا فَملنـا بأنفَيكُم فأصبح أصلَمَا

فمن كان محزوناً بمقتلِ مالكٍ فإنّا تركناهُ صَريعاً بِعَقرَمَا [12]

تشكل الأبيات مرجعية تراثية ،ذات مرجع اسطوري وهو الافعى ،إذ نجد الشاعر يشبه مقتل مالك وهو سيدهم ورئيسهم من أرض اليمن بالأفعى التي تشكل اسطورة من أساطير بلاد اليمن .

أما النموذج الثاني من الأساطير الأبل إذ فرضت طبيعة بلاد العرب – غير الخافية ملامحها على كل ذي مطلع –وجود الأبل فرضاً من الصعوبة بمكان الاستغناء عنها ،من حيث هي أول مصدر واهمة لضرورات حياتهم ،أو من حيث هي الرفيق الذي لا يعرف الملل أو الكلل في رحلاتهم ،وهذه الحقيقة وحدها كافية بأن تفسر لنا دواعي تلك الكثرة المفرطة من القصائد والمقطعات والأبيات التي قيلت فيها ،حتى غدت باعثاً من بواعث البقر، ولعل ظاهرة تردد الأبل بمثل هذه الكثرة في الشعر الجاهلي هي التي أسهمت في ظهور طائفة من المصنفات والدراسات تستقصي ما قيل في اوصافها وتشبيهاتها ولوحاتها الفنية ..وقد سبق القول أن شيوع صفات التقديس لهذا الحيوان أوذاك أو الارتقاء به إلى حد التأليه في المجتمعات البشرية وخصوصا المجتمع الجاهلي التي دارات حول الأبل مستوحاة من قصة النبي صالح (عليه السلام) إذكان للناقة فيها مقام رفيع بوصفها معجزة النبي صالح (ع)كما في قوله تعالى : "هَٰذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ"[13]،وقد وقف المجتمع العربي الجاهلي بعد أن وقف الشعراء مليا على أحداث تلك القصة واستوعب نتائجها ،أطلق العنان لخيالهم بأن يلحق بالناقة اساطير ومعتقدات تسبغ عليها صفات تأليه وتقديس .[14]

ونجد الشاعر قيس بن حُصين بن يزيد الحارثي وهو يستاق إبل تيم والرّباب يوم الكلاب الثاني فيقول :-

أكلّ عامٍ نَعَمٌ تحوونَه

---

[11]) في شعر قبيلة مذحج ،المجلد الأول ،ص : 208،وينظر وقعة صفين ،ص : 396

[12]) في شعر قبيلة مَذحج ،المجلد الثالث ،ص : 1314-1315

13) سورة الأعراف :آية : 73

[14]) الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ، أحمد أسماعيل النعيمي ، ص : 227-228-229

يُلقِحُهُ قوم ، وتُنتِجُونَهُ

أربَابُهُ، نَوكَي ، ، فلا يَحمُونَهُ

ولايَلاقون طِعَانـاً رُونَهُ

هيهاتَ ، هيهاتَ ، لما يَرجُونَهُ[15]

تشكل الابيات مرجعية تراثية ،ذات مرجع اسطوري تاريخي حيواني "الابل" ،فالشاعر جعل من يوم الكلاب حدثاً اسطوري عند استيلائه على أبل العدو ،ويرجو أن يدافعوا عن ما حصدوهُ لمدة عام ،لكن هيهات لم يلاقِ العدو الشجاع في يوم كلاب .

أما النموذج الثالث الثور الوحش وهو يعد اسطورة حيوانية تشكل مشهد في القصائد الجاهلية في الأغلب الأعم وخصوصا اعتقادهم أنه يمثل الخصب والارتواء عند ضرب الثور وقد أكد ذلك الجاحظ في كتابه الحيوان قائلاً : " وكانوا إذا اوردوا البقر فلم تشرب اما لكدر الماء أو لقلة العطش ضربوا الثور ليقتحم الماء ، لأن البقر تتبعه ، كما تتبع الشول الفحل ،وكما تتبع اتن الوحش الحمار " [16]،أما أصحاب الرؤية الأسطورية فقد عللوها بقولهم أن هذا الطقس له علاقة بالسقيا والارواء والاخصاب ،فربما كان ابتداء الثور بالشرب اغراء له كي ينزل المطر ، أو تكريماً لصانع المطر الذي كانت الغدران من فعله ونتاجه أو تذكيراً له بعواقب الجفاف والجدب والاهانة والحرق والنار .[17] ومن هنا نجد أن الثور الوحش أو الوحش وفق الاساطير التي ذكرت فنجد أن شعراء مذحج أستفادوا منها في ارتواء عطش الجاهلية في معتقداتهم وفي العصر الإسلامي أنها آلهة المطر ، أما العصر الاموي فهو يشكل لوحة صراع الخلافة بين الخلفاء الأربع من أجل المنصب ،وحسبنا في هذا الموضع نكتفي بأحد النصوص الشعرية لقبيلة مذحج المعبرة عن تلك المواقف كما في قول الشاعر جعفر بن عُلبة الحارثي يصف الوحش خلال مسيرته إلى بلاد بني الحارث فيقول :-

وَأصهَب جُونَّي كـأنّ بَغَامَهُ تَبَغُّمَ مَطرُودٍ مِنَ الوحشِ مُرَهَقِ[18]

ينص البيت الشعري هلى مرجعية تراثية ،ذات مرجع أسطوري حيوان وهو "الوحش" ،فيذكر الشاعر كيف يطاردهُ الوحش وسط الصحراء ، فقد أصبحت الرؤيا سوداء وانقلبت السماء من النهار إلى الليل ؛ حتى أغمي عليه وأصبح مرهق من الجهد والمطاردة .

أما النموذج الرابع الاساطير هو الطير ليس من الشك في أن الطير قد احتلت مكاناً فسيحاً في عالم الأسطورة ،ابتداءً من اعتقاد الكثير من المجتمعات الأولى بأن روح الميت تتحول إلى طائر يظل هائماً بين الأحياء متخذاً أسماء عدة بحسب طبيعة تلك المجتمعات التي ظهرت فيها هذه المعتقدات ويسمى عند العرب قبل الإسلام (البومة والصدى والهامة) ولعل مبعث هذا الاعتقاد عند الشعوب هو تفسير مقدرة الأرواح على التنقل السريع والتطواف سواء في عالم الاحياء أو الأموات ،وسوف نبتعد عن جميع دلالات التي تشير

---

[15]) في شعر قبيلة مَذحج ،المجلد الثاني ،ص : 720-721،وينظر الخزانة ،الصحيح بن يزيد ج1 ،ص 421

[16]) الحيوان ، للجاحظ ، ج1 ، ص : 18

17) ينظر بتصرف الأسطورة في الشعر العربي قبل الأسلام ، أحمد النعيمي ، ص : 243-244-245

[18]) في شعر قبيلة مَذحج ، المجلد الأول ،ص : 88،وينظر الأغاني ،الاصفهاني ،دار الكتب ،ج 13 ،ص : 55-56

إليها الطير من الفأل والشأم والجن ونأخذ المفهوم والدلالة التي تشير إلى الصيد والرزق والحرب وفق لشعراء قبيلة مذحج [19]

يذكر الشاعر مراد بن مذحج اسطورة حيوانية وهو الطير في مفارقة طيء لأخيه مذحج من جنوب الجزيرة إلى الشمال فيقول :-

لَوَ كَانَ أَأْسَى طيءٌ ما أَمسَى مغتربـاً يَزجُرُ طيراً نَحساً[20]

ينص البيت الشعري على مرجعية تراثية اسطورية حيوانية "الطير" ، فيشبه الشاعر أخوهُ بالنحس في أي مكان يدخل فيه من المشرق إلى الجنوب ،والنحس والشؤم هو عادة من عادات وتقاليد العرب القديمة خصوصاً عندما يتكرر النحس بوجود هذا الشخص ،وحددت العرب من الطيور البومه التي تشير في دلالتها إلى النحس "غير أن الطيور على اختلاف أنواعها تستخدم كأسماء لدلالات مختلفة ومتباينة منبعها غالبا تفسيرات لسلوكها وطرق معيشتها ولذلك ارتبطت أنواع بعينها بالرمز للحرية أو الانطلاق أو الترحال أو الرقة أو المسالمة أو الشؤم أو الفراق أو القوة أو الشجاعة أو الإقدام والبطش أو اللؤم والجبن "[21]

أما النموذج الخامس من الاساطير هو الغول ،ويعد أوضح الرموز التي استلهما الشعراء في هذا الأتجاه ،وله صلة قريبة بالحيوانات الأسطورية ،التي تمتلك القوى الغيبية الضارة ،وحسبنا أن نعرف أن الغول في كلام العرب الداهية لنزداد قناعة أن السعالي والافاعي والغول ..التي تنفث الروائح القاتلة قد تخيل في الذهن الغارق في الأسطورة ،ولكنها كانت قبل ذلك لأنها نسخ منقولة أو نماذج ، وهذا يعني أن انماط رموز الشر تقع في جذور كل شعر ،ذلك أخذهُ استخدموه شعراء قبيلة مَذحج لموضوع الحرب ؛لذلك نجدهُ يتردد في كثير من المواقف والمواقف التي تستدعي الاستشهاد به ،وفي كل الاحوال لا يخرج عن الصورة المرسومة لهُ وهي البشاعة ،ليهز الشاعر نفوس اعدائه ،ويحقق غايته التي يرجوها.[22]

ونجد الشاعر عمرو بن معد بن يكرب يفتخر بمصارعة أسطورة حيوانية "الغول " فيقول :-

بـأني قَد لَقِيتُ الغُولَ تهوِي بسهبٍ كالصّحِيفَةِ صَحصَحانِ

فَأضربهُا بِلاَ دَهشٍ فَخَرّت صَـرِيـعاً لليـدَيـنِ وَللجِـرَانِ[23]

---

[19]) ينظر بتصرف الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ، أحمد إسماعيل النعيمي ، ص : 250-251-252

*الشاعر : يُحابر بن مالك مذحج وسمي مراداً لتمردهُ باليمن ،وهو جد جاهلي قديم ينظر جمهرة أنساب العرب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ،تحقيق عبد السلام محمد هارون /طبع دار المعارف /القاهرة الطبعة الخامسة /1982 ،ص : 406 /

[20]) في شعر قبيلة مَذحج ،المجلد الثاني ،ص : 435،وينظر كتاب الانساب ،لسلمة بن مسلم العويني الصحاري ،طبع وزارة التراث القومي والثقافة /عمان الطبعة الثانية 1405 هـ/1984ج1،ص : 248

21) جريدة الرياض ، بقلم محمد اليوسفي ،العدد15205

22) الأسطورة في الشعر العربي قبل الإسلام ، ص : 324-325

23) في شعر قبيلة مَذحج ،المجلد الأول ، ص : 70 ،وينظر شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي ،جمع مطاع الطرابيش ، ص : 200

تشكل الأبيات الشعرية مرجعية تراثية ،ذات مرجع أسطوري حيواني وهو الغول ، فالشاعر يظهر شجاعته وقوته من خلال الانتصار على الغول الذي يشكل أسطورة بالرعب والخوف ،ويستهين بالغول أنه يحاربه باليدين و لا يحتاج إلى السيوف للانتصار، وقد ذكره الجاحظ "الغول كل شيء يتعرض للسيارة ويتلون في ضروب من الصور والثياب وفيه خلاف، وقالوا: إنه ذكر وأنثى إلا أن أكثر كلامهم أنه أنثى. وأما القطرب في قولهم، فهو نوع من الأشخاص المتشيطنة يعرف بهذا الاسم فيظهر في أكناف اليمن وصعيد مصر في أعاليه، وربما أنه يلحق الإنسان"[24]

المرجعيات الأسطورية المكانية (الاطلال): تنقسم المرجعية الأسطورية إلى الطلل والتشكيل القصصي ،عند الحديث عن المرجعية الأسطورية المكانية يتصدرها الطلل ،إذ لم تكن المقدمة الطللية على ما كان لها من سيطرة على الشعر الجاهلي وذيوع في قصائده – الصورة الوحيدة لمقدمات هذا الشعر ومطالع قصائده وهي تعبيراً عن متع الحياة الجاهلية التي كان فتيان العرب يعيشون لها ويحرصون عليها ،والتي تدور جمعها حول محور واحد ،وهو محاولة إثبات الوجود أمام مشكلة الفراغ في حياتهم ، وتشكل المقدمات الطللية الجميلة بدون شك ،والتي تعد بحق صورة صادقة اصلية لحب البادية العربية في العصر الجاهلي واللون الذي انفردت به بين سائر البيئات العربية في شتى عصورها ،والتي شارك فيها شعراء الجاهلية جميعاً على اختلاف اتجاهاتهم ومذاهبهم ،لما وجدوا فيها من فرصة يفرغون فيها لأنفسهم متخففين من زحمة الالتزامات القبلية التي كان يفرضها عليهم ما كان بينهم وبين قبائلهم من عقد اجتماعي طبع الشعر الجاهلي في مجموعة بطابع قبلي ،وجعل الإحساس بالقبيلة في نفس شاعرها أعمق من إحساسه بنفسه ،كانت هناك مقدمات احتلت مكانها التقليدي في مطالع القصائد الجاهلية ،لهذا شكلت المقدمات المكانية الطللية اسطورة من الاساطير في الشعر الجاهلي [25]

ويبدو أن الأسطورة لم تقف عند هذا الحد ،إذ بإمكاننا الزعم أنها أثرت أيضا في الجانب الفني للقصيدة الجاهلية ،من حيث البناء والصورة ،فبقدر ما يغتني الشاعر من ذلك الموروث للتعبير عن قضايا مجتمعه ،وإيجاد الحلول المناسبة لها ، كان هذا الموروث يخضعه لنمط من البناء من جهة ،ولنمط من الصور تحمل مدلوله من جهة أخرى والدليل على ذلك هو الرأي القائل أن الأسطورة والشعر شيء واحد لا انفصال بينهما، وأن يكن هذا الارتباط غير واضح المعالم والذي يتشكل من خلال فكرة الاساطير وموروثها وصورها ودلالتها واصولها ومدى ارتباطها بالموروث الجمعي الذي يندرج وفق موضوعها المباشر لوحتا الطلل والرحلة .[26]

ويتحدث الشاعر عمرو بن معد يكرب عن دار الاطلال لمعشوقته أسماء فيقول :-

يا دارَ أسماء بين السّفح والرَحبِ أقوَت وعَفى عليها ذاهبُ الحِقب

فما تبينّ منها غيُر مُنتَضدٍ وراساتٍ ثلاثٍ حول مُنتضبِ

وعرصةِ الدارتَستَنُّ الرياحُ بها تِحنُّ فيها حنين الولّه السّلَبِ [27]

24) كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ،شهاب الدين الأبشيهي ،ص : 331

[25]) دراسات في الشعر الجاهلي ، يوسف خليف ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ص : 147

[26]) الأسطورة في شعر العربي قبل الإسلام ، أحمد أسماعيل النعيمي ، ص :331-332-334

27) في شعر قبيلة مذحج ،المجلد الأول ، ص :262

تنص الأبيات على مرجعية تراثية ،ذات مرجع أسطوري طللي ،يتحدث فيها الشاعر عن دار أسماء ويصف موقعه الجغرافي بدقة ،إذ يقع بين منطقتي السفح والرحب ،وصور لنا خلّوها من الحركة الحيوانية المأنوسة من أنسان وغيره ،ثم ركز عينه الباصرة على أشياء دقيقة داخل الدار فوضح لنا صورة المنتضد وهي تشير إلى مجموعة من الحجار المرصوصة التي كان يستخدمها أهل الدار في بعض شؤونهم ،وهذه توضح الحياة البسيطة التي يعيشها العشاق .

أما الاسعر الجعفي يصف بعض بقايا دار تذكرها من خلال قوله :-

إلا رَوَاكِدَ بَينهُنّ خَصَاصَةٌ سَفعُ المَنَاكِبِ كُلُّهُنَّ قد اصطلى[28]

يشكل البيت الشعري مرجعية تراثية ، ذات مرجع أسطوري طللي ، يتحدث فيها الشاعر يصف داره كما فارقها وهي تعتليها النار الحمراء ,أصبحت رماد وأحجار سوداء من أثر الدخان وذلك من خلال قوله (السفعة أي السواد الذي يأتي بعد احمرار النار)، وتشير الرواكد إلى الثوابت أي الأحجار الباقية.

ويتحدث الشاعر النجاشي الحارثي عن بعض المواضع تشكل اسطورة مكانية فيقول :-

لِمَن الدّيَارُ بروضةِ السّلانِ فالرّقميتين فجانبِ الصُّمَّانِ [29]

يتحدث البيت الشعري عن مرجعية تراثية ،ذات مرجع أسطوري طللي وذلك من خلال عد' مواضع فالموضع المكاني الأول روضة السيلان ويقصد به جبل بإزاء خزاز كانت فيه وقائع للعرب وقيل هي أرض تهامة مما يلي اليمن ، أما الموضع الجغرافي الثاني وهو(الرقمتان) تثنية الرقمة وهو مجتمع الماء في الوادي ،وهما روضتان بناحية الصمان ،وقيل هما روضتان ببلاد بلعَنبَر الصمان ،أصل الصمان أرض غليظة ذو الجبل إذا أخصبت رَبَعَت العرب جمعا والمان متاخم للدهناء ،وقيل هو جبل بأرض تميم أحمر ينقاد ثلاث ليال ليس له ارتفاع ،وهناك عدِة مواضع في بلاد العرب يسمى الصّمان ،ونجد أن ذكر المواقع الجغرافية وأماكنها بدقة تشكل مرجعي أسطوري طللي .

أما الشاعرة الأنعمية المرادية تتحدث عن العراق من خلال أسلوب عاطفي فتقول :-

ألا حبّذا من مِلك جُربَان نظرةً وجُربَانُ من أهل العراقِ بعيد

ويا حبّذا –والله لولا مخافتي قوابِلهُ رمل – معا – وصعيدُ

تشكل الابيات مرجعية تراثية اسطورية طلليلة ، تشكل بحد ذاتها أسطورة عاشق أبعدت عن دياره العراق وبقت الذكرى هي الرياح الأسطورية التي تحملها الرياح إلينا والشوق يقتلها إلى ذكرياتها ، نعم فكم من فتاة تزوجت وبعدت عن ديارها وشكلت في قلبها وعقلها ذكريات مختلفة السنوات عند ذهابها مع زوجها .

أما الشاعر الزبيدي يصف مكان اسطوري وهو صحراء من خلال سفرهُ قائلا:-

وأرضٌ قد قطعتُ بها الَهواهِي تخالُ عَزِيفَ جنتّها قُطُونَا [30]

---

28) في شعر قبيلة ،مذحج ،المجلد الثاني ، ص : 488 ، وينظر أمالي المرتضى علي بن الحسين الموسوي العلوي ج2 ،ص : 32

29) في شعر قبيلة مذحج ،المجلد الثالث ، ص : 1046 –1047

[30]) في شعر قبيلة مذحج ،المجلد الثالث ، ص : 1310 وينظر كتاب نظام الغريبي ،للربعي ،ص : / 114

ينص البيت الشعري على مرجعية تراثية اسطورية ،يصف فيها الشاعر الزبيدي الصحراء وكيف تحمل معها أصوات الجن عند سيرها وقد أشار إلى ذلك من خلال دلالات الالفاظ (الهواهي وهو ضرب من السير مثل عزيف الجن وما اشبهه / والعزيف يدل على أصوات الجن أما القطون فيشير إلى الخدم) وقد أسطر الشاعر الصحراء من خلال وجود أصوات الجن التي تشكل بمفهومها نوعاً من الاساطير

المرجعيات الأسطورية البطولية : عند الحديث عن القدر والصبر على الحياة وعدم الموت والخلود أساس الحياة الجاهلية التي لا تؤمن بالموت وتخلق صور مختلفة عند الموت وقد أشار إلى ذلك الرسول محمد (ص) قائلاً :" لا عدوى و لا طيرة ولاهامة ولاصفر" [31] ولاندري على التحقيق علاقة الصدى والهامة بصورة الروح عندهم ،ومع أن اثباتهم الروح على أي صورة تصوروه مما يثبت ايمانهم باستمرار وجود الانسان بعد موته ، ويذكر ان الجاهلية عرفت في عقائدها البعث .ولكنها عرفته على نحو يختلف عما جاء في عقيدة الإسلام ،ويحتمل أن أهل الجاهلية ورثوا عقيدة البعث فيما توارثوا من ملّة إبراهيم عليه السلام ..ولكنهم خلطوها بكثير من العناصر الغريبة ومن التحريف مما أبعدها عن الأصل الأول ..وصيرها خليطا من الاساطير ..والخيال الساذج كما قولهم في الهامة والصدى ..فقد كانوا يخالون أن الميت يخرج من رأسه طائر من طير ..فاذا كان موته قتلا طلب صداه أو هامته له من قاتله بقوله اسقوني ..وربما جاء الميت بأخبار الثأر له والتدابير التي يتأخذها ولي الثأر لذلك ، أما الحساب فلا نستطيع أن نقول في مدى أنتشار الاعتقاد به بينهم شيئاً .. مع علمنا بأنه من عقائد أهل الكتاب من العرب وغيرهم ،وربما تأثر بهم من خالطهم واتصل بهم من أهل الشرك ،وقد أدى اختلاط الاقاويل في البعث والحساب إلى أنه لم يكن مقنعا لقسم من أهل الجاهلية من الطبقة المفكرة الواعية منهم والذين اطمأنوا إلى فكرة الدهر والذي يشكل القسم الأكبر ممن كان يقول به من العرب هو القدر.[32]

ولقد سخر الشعراء موهبتهم وثقافتهم في بعث الرموز الأسطورية ،عبر التاريخ – وإن كان للامتداد الأسطوري داخل الشعر وجود أكثر من التأريخ – ليرسخوا حقيقة فكرية ذات بعدين: الأول : استحالة الخلود ،وان لموت واقع لا مهرب منه ،والآخر : ان الدهر والقضاء والقدر وراء فناء الانسان وشقائه وبؤسه (ماضيا وحاضراً) على أن هذا التسليم المطلق بمعادلة الحياة والموت ظل يمثل جانباً احادياً من فكر الشاعر ،إذا كان عليه ان يجد في الموروث من الأساطير أيضاً ،وسيلة لتجاوزها ،وتأكيد حقيقة فكرية أخرى لعلها تكون راسخة في البنية الفكرية للمجتمع ،وهي ان ممارسة القيم الأخلاقية الموروثة في العرف الجماعي سبيل إلى الخلود الذكر في الأقل مادام خلود الجسد مستحيلاً ،إذا وضع الداعين إلى ممارسة تلك القيم نصب اعينهم (الثناء) الذي يحصلون عليه ،بوصفه (الخلد) الذي هو صفة من صفات (الالهة) يبغونه من هذا المنظور المعنوي .[33]

وقد نجد الأسطورة البطولية من خلال الشخصيات ولقد صنفها النعيمي بانها البطل فيقول : " لقد اعتادت المجتمعات البشرية خلال عصورها الأولى والمتأخرة على وجود شخصيات إنسانية متفردة في تفوقها وقدراتها عن سائر الناس منها الساحر والشاعر والملك والكاهن والسيد ،وابرز تلك الشخصيات المتبوئة الزعامة (الروحية والدينية ، والدنيوية والمعنوية) فان وجدان الجماعة خلق إلى جانب هؤلاء ،ما لا يقل

---

[31]) بحار الأنوار ،العلامة المجلسي ، ج55،ص 318

[32]الحياة والموت في الشعر الجاهلي ،الدكتور مصطفى عبد اللطيف جياووك ، دار الحرية للطباعة ، 1397هـ ، 1977م ، ص : 87-88-89

[33]الأسطورة في الشعر العربي قبل الأسلام ، احمد إسماعيل النعيمي ، ص :288

عنهم شأوا ، بما يحمله من صفات كل واحد منهم ،وما يأتيه من اعمال خارقة جعلته موضع تبجليها وتقديسها ذلكم هو البطل الذي كان عهود الحياة الأولى يعد شخصاً مقدساً ،بل كانوا يظنونه أحيانا من سلالة الالهة [34]

ويذكر الشاعر رهين المرادي يخلد شخصيات بطولية فيقول :-

كزيدٍ ومرداس وعمروٍ وكهمسٍ وكابن عقيلٍ في الكتيبة عامرِ

أقاما بدارِ الخلدِ لايرتجيهُمُ حميمٌ كما يُرجَى إيابُ المسافر[35]

تنص الابيات على مرجعية تراثية ،ذات مرجع اسطوري خالدي ،يخلد الشاعر فيها الشخصيات الشجاعة ،وذات القوة في وقت الوغى ،فيذكرأن موتهم أصبح شهادة لهم في دار الخلود وكانت هذه الشخصيات هي : (زيد /مرداس / عمروٍ/ ابن عقيل) في جيش عامر التي شكلت أساطير تاريخية في الحروب .

أما الشاعر حليلة بن كعب بن الحارث الجعفي يخلد نفسه من الأبيات قائلاً :-

وإن امرأ قد عاشَ تسعين حِجّة إلى مائةٍ يرجوُ الفلاحَ لَجَاهِلُ
يُؤمَّلُ أن يبقى وقَد ماتَ ذو النّدَى أبوك وأودى ذو الحِمالةِ وائلُ
وجارُ الصَّفا ولأرقَمَانِ كلاهما فكيف تُرَجَّي الخلدَ أُمّكَ هابلُ
فلا ترجُ عمرا بَعدَ من فادَ إنَّما بقاؤكَ في الدّنيا ليالٍ قلائلُ[36]

تنص الابيات على مرجعية تراثية ،ذات مرجع أسطوري يخلد فيها الشاعر حياته الفانية ،التي عاش فيها الشاعر تسعين حجة وهو بالقرب من جار الصفا، وقرب الارقمان هما مران وحريم ابنا جعفي بن سعد العشيرة بن مذحج ،ويذكر أنه أصبح مثل الأم الهابل أي الثكلى المحملة بالتعب وقد تكون الحامل ،نعم هكذا وصف الشاعر خلودهُ في هذه الحياة .

أما الشاعر شريح بن هانئ الحارثي المذحجي يذكر طول عمرهُ فيقول :-

أَصبَحتُ ذابثٍ أقاسي الكَبِرَا

قَد عِشتُ بين المُشرِكَينَ أَعصُرا

ثُمتَ أَدرَكنَا النَّبِي المُنذِرَا

وَبَعدَهُ صِدَّيقَهُ وَعُمَرَا

والَجمَلَ المعروف يدعى عَسكَرَا

والجمعَ في صفَّينهم والنهّرَا

---

[34]) المصدر نفسه ، ص : 378 ،وينظر البطولة في الشعر العربي ،د. شوقي ضيف (سلسلة اقرأ) :ص : 9

[35]) في شعر قبيلة مَذحج ،المجلد الأول ،ص : 328،وينظر أنساب الأشراف ،للبلاذري ،ج1 ،ص : 185

*الشاعر : حليلة بن كعب بن الحارث بن معاوية من بني مَرّان من جعفي المذحجي ،شاعر جاهلي مقل ،كان من المعمرون ، عَمّر تسعين ومائة سنة ،توفي قبل عام (198 ق. هـ – 431 هـ) ينظر المعمرون والوصايا لأبي حاتم السجستاني ،ص 93:

[36]) في شعر قبيلة مذحج ،المجلد الثاني ، ص 449

ويومَ مَهرَانَ ويوم تَستَرَا

وباجَمُيرَات مع المُشَقَّرَا

هيهات ما أطولَ هذا العُمُرَا[37]

تنص الابيات على مرجعية تراثية ،ذات مرجع أسطوري خالدي ،يخلد فيها الشاعر حادثة الجمل ،وكيف كان موقعه في الحرب ،ويذكر الشاعر أنه من المخضرمين ، إذ يؤرخ ويخلد جميع الاحداث والحروب التي حدثت طول فترة عمرهُ ،حتى أصاب الكبر وأخذ الحزن مأخذهُ من الشاعر ،حتى جعله يتندم ويتحسر على العمر الطويل بقوله هيهات ما أطول هذا العمر .

وخلاصة القول أن المرجعيات التراثية الأسطورية شكلت نوعاً من الانتقال في الشعر الجاهلي وخصوصاً عند شعراء قبيلة مَذحج ،ولقد توصل الباحث أن المرجعيات الدينية قليلة الابيات ،التي تخص عبادة الاصنام ،ولكن تعد أكثر أنتاج عند شعراء قبيلة مذحج في العصر الإسلامي والاموي .

-أما الحديث عن المرجعيات الكونية فكانت تشكل مجرد تصوير مرئي في ذاكرة الشاعر عند استخدام الكواكب والنجوم والليل ،وتعد النجوم أكثر استخداما من الشمس والقمر .

- وتوصل الباحث في المرجعيات المكانية إلى قسمين من المرجعيات وهي الطلل والتي شكلت أبياتها في العصر الجاهلي أكثر من الإسلامي الذي يخلد الأماكن المقدسة ومنها بيت المقدس والمكة ونهر الفرات وكربلاء ، أما المرجعيات الأسطورية القصصية ،فقد كثرت في العصر الإسلامي والاموي أكثر من العصر الجاهلي .

- وتعد المرجعيات الأسطورية البطولية ،نوعاً من الاساطير الخلود فقد يكون خلود ذاتي ،وأوخلود بطولي للشخصيات تاريخية ،ولكن نجد في العصر الجاهلي وخصوصاً عند الشعراء المخضرمين تخليد الذات أكثر ويرجع السبب إلى طبيعة أجسادهم التي أثكلها الدهر وأصابهم كل أنواع البلاء والامراض ، أما العصر الإسلامي فهو أقل حضوراً في الشعر المذحجي ،ويرجع إلى اشتغالهم بالحروب والدفاع عن العقيدة وهو يشابه العصر الأموي في هذا المضمون .

المصادر :

1- أنساب الأشراف ،للبلاذري ،ج1 ،ص : 185.
2- وينظر أمالي المرتضى علي بن الحسين الموسوى العلوي ج2 ،ص : 32.
3- بحار الأنوار ،العلامة المجلسي ، ج55،ص 318
4- الحياة والموت في الشعر الجاهلي ،الدكتور مصطفى عبد اللطيف جياووك ، دار الحرية للطباعة ، 1397هـ ، 1977م ، ص : 87-88-
5- جريدة الرياض ، بقلم محمد اليوسفي ،العدد1502
6- جمهرة أنساب العرب لأبي محمد علي بن أحمد بن سعيد بن حزم الأندلسي ،تحقيق عبد السلام محمد هارون /طبع دار المعارف /القاهرة الطبعة الخامسة 1982
7- البطولة في الشعر العربي ،د. شوقي ضيف (سلسلة اقرأ) :ص :9
8- دراسات في الشعر الجاهلي ، يوسف خليف ،دار غريب للطباعة والنشر والتوزيع ، ص : 147

[37]) في شعر قبيلة مذحج ،المجلد الثالث ، ص : 1129-1130،وينظر جمهرة النسب الكبير ،لابن الكلبي ورقة رقم 95

9- شعر عمرو بن معد يكرب الزبيدي ،جمع مطاع الطرابيش ، ص : 200
10- شعر قبيلة مذحج في الجاهلية والإسلام حتى آخر العصر الأموي ،محمد بن عبدالله آل مبارك ،الطبعة الأولى 1420هـ -2000
11- وقعة صفين ،لنصر بن مزاحم
12- كتاب الحيوان ،الجاحظ
13- كتاب نظام الغريبي ،للربعي ،ص : 114
14- كتاب المستطرف في كل فن مستظرف ،شهاب الدين الأبشيهي
15- الأسطورة في الشعر العربي قبل الأسلام ، احمد إسماعيل النعيمي ، ص :288
16- الأسطورة والمعنى دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية ،فراس السوّاح /منشورات علاء الدين – دمشق ، ص : 91.